

ولم ينس هذا الاعلان ان يذكر الانسان والجان
باصل النشأة وخاتمة المطاف (كل من عليها من)
والذي يوجهنا اليه البحث من الفيض الطاهر العزيز
لهذا الاعلان هو اصل النشأة وميزة البيان لنعود الى:

(الرحمن) .. اسم من اسماء الله الحسنى يلد
الرحمة العظمى التي اشتقت منها كل رحمة والتي
تعود الى فضلها كل نعمة ويضاف اليه فيضها كل منة
كانت وستكون فاسم الرحمن اذن خليق بهذه البداة،
جدير بهذا المطلق في هذا الاعلان العام ..

(علم القرآن) .. هذه الآية جملة لعملية جاءت
بصيغة الماضي . الفاعل فيها الرحمن جل وملا ،
والفعل الماضي ا علم ا يحتاج الى مفعولين فكسان
الاول ا القرآن ا والثاني محذوف قدره كل مفسر
بما الهه الله والاغلب هو جبريل عليه السلام الذي
كان ينزل بالوحي على الانبياء والرسل .

ومجهه هذه الآية ا علم القرآن (قبل ا خلق
الانسان في هذا الوجود وتسلكه طريق الامن
انما له دلالة على كون هذا العلم قد سبق خلق
الانسان بالفعل .

والقرآن تلك النعمة العظيمة التي تعدد طريق
الانسان في هذا الوجود وتسلكه طريق الامن
والسكينة والنجاة : فلا يكون ضائما في متاعه الكون
والنفس ولا شريدا من حضرة الروح .

لذلك كان القول وتعليمه جبريل قبل خلق
الانسان .. (فلا اتسم بواطن النجوم . وانه لتسم
لو تعلمون عظيم . انه لقرآن كريم . في كتاب مكنون .
لا ينسه الا المطهرون . تنزيل من رب العالمين)
- الواقعة 75 - 80 - .

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن
المعاص قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول : (كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق
السموات والارض بخمسين الف سنة - قال -
وعرشه على الماء) . - الجزء 7 - باب القدر - .

ومن وصايا عبادة بن الصامت لابنه وهو على
فرائض الموت قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول : (ان اول ما خلق الله القلم ، فقال له

اكتب ، فقال رب وماذا اكتب ، قال اكتب مقادير كل
شيء حتى تقوم الساعة ..) ذكر الحديث بأكمله ابو
داوود في سننه (10) .

(خلق الانسان) .. بصريح العبارة (خلق الانسان)
لكي لا يضيع هذا الانسان في بحر التساؤلات
والتكهنات .. خلق الله الانسان بكل ما فيه من اجهزة
وخلابا ويكل ما معه من مواهب وصفات وميزات
خلقه .. واوحى اليه بصريح العبارة ايضا مبينا لماذا
سويا .. واوحى اليه بصريح العبارة ايضا مبينا لماذا
خلقه .. (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ..)
ويتعلق بالعبادة مفهوم المعرفة معرفة الله جل وعلا .

وكيف خلقه : (الله الذي خلق السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش
ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع انما تتذكرون .
يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يرجع اليه في يوم
كان مقداره الف سنة مما تعدون . ذلك عالم الغيب
والشهادة العزيز الرحيم . الذي احسن كل شيء
خلقه وبدا خلق الانسان من طين . ثم جعل نسله من
سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه
وجعل لكم السمع والابصار والانفذة قليلا ما تشكرون
- السجدة - وسياتي معنى توضيح ذلك في قصة
البشرية الاولى .

(علمه البيان) .. البيان هو التعبير والتوضيح
وآيته كبيرة تبدأ من الرئتين وما فيها من تصببات
وحجرات الى الحنجرة ثم الاحبال الصوتية والحلق
واللسان والاسنان وما يربط ذلك من اعصاب تتصل
بالدماغ .

لماذا اوردت ميزة البيان عن غيرها من صفات
الانسان علما بان الآلية التي تؤدي اليه ، تقريبا هي
نفس الآلية الموجودة في الحيوان الناطق (الببغاء -
نوع من انواع الطيور) وموجودة ايضا في الحيوان
الابكم (سائر الحيوانات) ..

وهنا سر الاعجاز الالهي ، يتجلى بهذا الابرار،
لفنفس الآلية تجعل من الحيوان مخلوقا ابكم لا
يستطيع التعبير عما يجيش في صدره حيث لم نسمع
على مدى التاريخ ان حيوانا واحدا قد نطق .

وهذه الآلية بالذات جعلت من الببغاء ذلك
الطائر الاليف ، مخلوقا ناطقا ولكن بدون وعي ولا

ادراك ، وهنا ايضا لم يذكر لنا التاريخ على مداه ان
ببغاء واحدا قد اجتاز مرحلة النطق الى مرحلة البيان
والتعبير مما يخلق في حناياه مرحلة النهم والادراك
الصحيح . وشأن الببغاء شأن المرد الذي يرجع
الصوت كما هو ويحاكيه فيما يسمع منه . وما عدا
ذلك فلا نطق ولا كلام .

وبنفس الآلية كان الانسان مخلوقا ناطقا محبرا
مدركا يبين عن احساساته بالنطق ويعبر عنها
بالمسات ويرسم خوالج نفسه بدفقات من الهواء
تخرج من بين اسنانه ولسانه .

لهذا كله امرد البيان وميز في خلق الانسان
ا خلق الانسان .. عليه البيان) . لقد جعل الله لهذه
الآلية سرا وميزة في الانسان ، فلو قال الله - وقوله
الحق - خلق البيان : لقلنا : سوف ينطق الحيوان
لانه يتمتع بنفس الآلية او لكان من الواجب ان تختلف
آلية الحيوان عن آلية الانسان ، والواقع انها واحدة
في الاثنين لظهور القدرة والابداع مختلفة في النتيجة
حيث مكنت الانسان من البيان الكامل ولم تمكن
الحيوان الا من بعض الاصوات .

وثمة سؤال يطرح نفسه في هذا المجال : متى
نطق ابو البشرية - آدم - هل كان ذلك عقب تيباه
بشرا سويا أم انه عاش فترة زمنية بدون نطق ،
والجواب : انه لا يعقل أن يكون ناطقا وخالفه يقول
ا وصوركم فأحسن صوركم ..) ولابد لهذا المخلوق من
ان يتعامل مع بيئته بحسب ما رسم له من غايات
وأهداف ، والتعامل يكون مبتورا لو كان هذا المخلوق
ابكم لا يدرك شيئا ولا يستطيع التعبير عنه .

وآدم تعامل مع بيئته بالكلام والنطق منذ اول
لحظة لدبيب الحياة في جسده والدليل على ذلك
نستخرجه من قصة البشرية الاولى التي ذكرها الله
بقوله الكريم :

(واذا قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض
خليفة ، قالوا : اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال اني
اعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم
على الملائكة ، فقال : انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم
صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك
انت العزيز الحكيم . قال يا آدم انبئهم باسمائهم ،

علما انبأهم باسمائهم قال : ألم اقل لكم اني اعلم غيب
السموات والارض واعلم ما تبذرون وما تكتمون . واذا
قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى
واستكبر وكان من الكافرين . وقلنا يا آدم اسكن أنت
وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا
هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فآزلهما الشيطان
عنها فآخراجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم
لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين .
فقلنا آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب
الرحيم - سورة البقرة - .

ومن سورة الامراء : (فوسوس لهما الشيطان
ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال : ما
نهاكما ربكما من هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او
تكونا من الخالدين . وقاسمهما اني لكما لمن
الناصحين . فدلاهما بغرور ، فلما ذاقا الشجرة بدت
لهما سوآتهما وطفقا بخمفان عليهما من ورق الجنة
وناداهما ربهما ألم انهكما من تلكا الشجرة واتل
لكما ان الشيطان لكما عدو مبين . قالا ربنا ظلمنا
انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين .

من هذا السرد الخاطف لكلام الله تعالى في قصة
البشرية الاولى نستخرج عدة ملاحظات تناسب
موضوعنا أهمها :

1 - خلق آدم كان امجازا للملائكة واظهارا لقدرة
الله على تكوين مخلوق مادته من أهد العناصر
ولكنه سام سمو الروح التي فيه ، عالم لامور
لا تعلمها الملائكة الذين يذوقونه بالعنصر
ويتمالون عليه بالنور .

2 - ان ما فرس في لحظة آدم من دوافع اساسية
تدفعه الى التعامل مع هذه الارض واكتشاف
خيراتها وتحقيق خلافة الله فيها ، تلزمه ان
يسمي كل شيء باسمه مما سيوضع تحت يديه،
ومما يراه في بيئته ، فكان ان عليه الله اسما
كل شيء بطريق الالهام ، فلما نزل الى ساحة
المبارزة مع الملائكة كان يجيب على كل سؤال
ويسمي كل شيء ، والملائكة لا تستطيع ذلك ،
وتمت كلمة ربك (.. ألم اقل لكم اني اعلم غيب
السموات والارض واعلم ما تبذرون وما كنتم
تكتمون) .